الحالة السياسية في الحجاز

في أواخر سنة ١٣٣٤

أنعمنا بفضل الله مناسكنا، فنحمد الله تعالى ونسأله ان يتقبل منا، واذ فرغنا من حديث المناسك. فيحسن ان نتم فوائد هذه الرحلة بما يمكن بيانه الآن من أخبار الحجاز الاجتماعية والسياسية، التي تعد من أعظم الاحداث التاريخية، ثم ببعض الطرف الادبية، من المختارات الشعرية، ونبدأ بذكر انشاء الحكومة الجديدة في مكة المكرمة فنقول:

لما شعر بالاستعداد لتأليف هذه الحكومة أصحابنا اللاجئون اليها، الذين يعدون من أصحاب الشأن أو العمل فيها، اختلفت آراؤهم فيما ينتظر أن تكون عليه، وما ينبغي أن يكون مسلكهم في هذه الحال على كل تقدير يتصوره الذهن، وقد استحسنوا ان يجتمعوا ليلا ويكاشفوني بآرائهم ويتعرفوا رأيي «والمستشار مؤتمن» ففعلوا. ومما يعد من الغريب عند كثير من الناس ان ما كان يجول في أذهان أهل البلاد المختلفة بمكة في هذه المسألة هو عين ما كان يجول في أذهان أهل مصر من الآراء والظنون. ثم ماذا كان؟

علمنا يوم الخميس سابع ذي الحجة انه قد تألفت فيها حكومة جديدة. على الوجه الذي نشر بعد الحج في العدد السابع عشر من جريدة القبلة بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ وهذا نصه:

(الحكومة العربية الجديدة)

«ما أزفت الساعة السادسة من نهار الخميس الماضي سابع ذي الحجة حتى اكتظت دار الحكومة بأكابر العرب وعليتهم انتظاراً لتشريف رجال الحكومة العربية الجديدة ولما كانت الساعة السابعة وصل صاحب السمو الامير عبد الله ومعه سائر الوكلاء فصدحت الموسيقى بالسلام الشريف وأخذت الجنود النظامية المرصوصة على جانبي الطريق السلام العسكري. ولما استقر بحضراتهم المكان في ندوة الحكومة قرئ المرسوم الشريف الصادر من جلالة سيدنا الملك المعظم الى حضرة العلامة المفضال الشيخ عبد الله سراج بتعيينه قاضياً للقضاة ووكيلا لرئاسة الوكلاء وتعيين زملائه حضرات الوكلاء العظام. وهذه صورة المرسوم الشريف:

﴿ المرسوم الشريف بتأليف هيئة الوكلاء ﴾

حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج

انه لما كانت مصالح لرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر أسباب العمران لا بد لها من دواوين يتوزع عليها النظر في الحكومة وما هو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة، ويتعين بها أساس الوظائف الذي تبنى عليه المسؤلية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة. وبالنظر الى ما نحققناه فيكم من الكفاءة والاستقامة، عزمنا بعد الاستعانة بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لعهدتكم وتعيينكم وكيلا عن رئيس الوكلاء العظام، وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات الآتية أسماؤهم، وهم ولدنا عبد الله بن الحسين لوكالة الخارجية ويكون وكيلا عن وكيل الداخلية، وعبد العزيز بن علي رئيس أركان حرب ووكيلا عن وكيل رياسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة، والشيخ علي مالكي وكيلا للمعارف والشيخ يوسف ابن سالم رئيس البلدية سابقاً وكيلا للمنافع العمومية، والشيخ محمد أمين مدير الحرم الشريف سابقاً وكيلا للاوقاف مع بقائه في نظارة أمور الحرم وكل ما يتعلق بوظيفته الشريفة، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه وكيلا للمالية. وذلك لما توسمناه من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح البلاد وأهلها على ما يرضي الله، واننا ننتظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين لرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وأرجو الله سبحانه أن يجعلنا مظهر توفيقه وهداه، في كل ما يحبه برضاه

في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤ هـ شريف مكة وأميرها

حسين

ثم تلي مرسوم شريف آخر بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصه:

﴿ المرسوم الشريف بتأسيس مجلس الشيوخ الأعلى ﴾

وكيل رئيس الوكلاء وقاضي القضاة مولانا وفقه الله

بما أننا قد استصوبنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم (مجلس الشيوخ) وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على أعمال الدواوين

والدوائر الرسمية وابداء الرأي فيما تعرضه الدوائر على مقام وكيل رئيس الوكلاء ومقرر فيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي ، فقد جعلنا رئيساً له جناب الفاضل الاجل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد صالح الشيبي . وأعضاءه حضرات الافاضل الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح زواوي ومفتي المالكية الشيخ عابد بن حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشيبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن علي ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقاف والشيخ عبدالله علي رضا والشيخ علي بن عبدالله الشرباصي والشيخ أبو بكر بن محمد خوقير وذوي السيادة والشرف حمزة بن عبد الله الفعر وفتن بن محسن وسليمان بن أحمد بن سعيد وناصر ابن شكر ولتبليغهم ماذكر اقتضى تحريره ؟ في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤

اه ماتقل عن جريدة القبلة شريف مكة وأميرها

حسين

ولما علم الناس بتأليف الحكومة الجديدة كان حديثها شغلهم الشاغل وكانوا ينتظرون أن يسمعوا يوم الجمعة ثامن الشهر شيئا جديدا في تعيين شكلها، واستحسن بعض الاخوان الذين رأوا مارأوا من اكرام الامير مثواي أن أطلب التشرف بمقابلة خاصة أتوسل بها الى عرض ماعرفوا وحمدوا من رأيي في شكل هذه الحكومة ففعلت، ونلت الحظوة في أول الليل على سطح في أحد جوانب قصر الامارة، وتوصلت بذكر ماتم من تأليف مجلس الوكلاء الى السؤال عن شكل الحكومة كيف يكون ؟ فتفضل الامير بتواضعه المعهود قائلا : هذا مانحب ان نأخذ رأيكم فيه . فذكرت رأيي مفصلا تفصيلا، ولكنني لم أسمع كلمة ولا رأيت اشارة تدل على استحسان ولا على انكار، ثم استأذنت وانصرفت.

قلت ان جمهور الناس من المكيين والحجاج كانوا ينتظرون أن يسمعوا يوم الجمعة شيئا جديدا فلم يسمعوا ، وكان من صلى الجمعة في المسجد الحرام من المصريين على مقربة من المنبر يلقون السمع الى الخطيب عند الدعاء، فسمعوه بآذانهم يدعو للسلطان محمد رشاد ، وخرج الناس من المسجد الحرام ، ولم يقع ماكانوا يتوقعون من المبايعة بالخلافة بين الركن والمقام ، فزال بذلك مازال من الظنون والاوهام .

ثم عاد الناس الى الحديث في هذه المسألة في مساء يوم العيد بمنى وأشيع ان

المبايعة يحتمل أن تكون ضحوة غد في أثناء الاحتفال المعتاد في سرادق الامير ، ذلك بأن العادة قد مضت بأن تكون ضحوة اليوم الاول من أيام منى موعد تهنئة الامير الشريف بالعيد واتمام المناسك فكان يحضر لديه والي الحجاز وقائد الجند فيه وأمير الحج الشامي والمصري وكبار الشرفاء والعلماء وكبراء رجال الحكومة ووجهاء مكة المكرمة والحجاج و يتلى الفرمان السلطاني الذي يعهد فيه الى الشريف بالنظر في شؤون إقامة الحج وحفظه في الحجاز ... ويخلع الوالي على الامير الخلعة السلطانية .

ولما أشيع ما أشيع جاءني أولئك الاصحاب ليلا للمذاكرة في الامر وبعد طول التشاور فيه اقترحوا عليّ أن أذهب الى مخيم الامارة لاستكشاف الحقيقة إذ قيل ان جمهور رجال الحكومة الجديدة وشرفاء مكة ووجهاءها يرون وجوب المبايعة بالخلافة وان سيدنا الامير مخالف لهم في ذلك ويرى ترك ذلك الى جماعة المسلمين في سائر الاقطار وقد بين هذا المعنى بعد ذلك في بعض المنشورات الهاشمية . ولما كان منزلنا بعيدا عن مخيم الامارة وكان الاخوان يعلمون ان الامير لا يسهر كثيرا جاؤني بجواد كريم فركبته وأسرعت الى السرادق الخاص فقيل لي إن سيدنا قد نام ، وسألت عن نجله الامير عبدالله فقيل انه قد نام أيضا ، فعدت أدراجي الى اخواني فأخبرتهم بذلك وانصرفنا الى مضاجعنا .

بت ليلتي أفكر في هذه المسألة ، ولم يبق لي من أعمال النسك ما يشغل قلبي عنها ، وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه الليلة عن رأي الامير دون من حوله ، وقد أكبرته لذلك ، وكان أعجبني من منشوريه الاولين جعل عداوته لفئة الاتحاديين المتغلبة لا للشعب التركي ولا للدولة العثمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في أول عهدها - وكنت أرى ان مبارزته للعداوة لهذه الفئة المتغلبة قد يقف بغي زعمائها على العرب عند حد ما اجترح جمال باشا من الموبقات التي هي شر لدولته وكذا لجمعيته لا خير لها كما توهم ، وان نفع الحركة الحجازية ، محصور في هذه الفائدة المرجوة ، وفي إغاثة جيران بيت الله من المجاعة والهلكة المخيفة ، وفي الاحتياط لما يجب اذا سقطت الدولة ، وأرى انه يجب السعي لتحقيق ذلك بدون ارتكاب إثم يريبي شره على خيره ، وكنت أشرت الى رأيي هذا والى حسن ظني في الامير الشريف في مقال المحاورة الذي نشر في المنار قبل الحج وقبل العزم عليه ذلك ما بت أفكر فيه ، ولما أصبحنا أسرع الناس الى مكان الاحتفال مشرقين

وتأخرت الى الضحوة الكبرى فألفيت سرادق الامارة غاصا بالناس وكذا الفجوة التي أمامه ولو لم يزني بعض من يعرفني هنالك لما تيسر لي اختراق ذلك الجمع الكثيف، والنفوذ الى المجلس الهاشمي الشريف ، ولكن رآني من فرج لي فرجة بين الناس دخلت منها الى أن بلغت الحلقة الكبيرة وجلست على كرسي أخلي لي فيها، وكان الناس من مصريين ومكيين قد شرعوا في إلقاء الخطب والقصائد في التهاني والادعية، فرأيت أن ألقي خطبة في بيان الحقيقة التي عرفتها بالبحث والاختبار ، والآراء التي أنتجتها تلك الافكار، أشير فيها الى آراء الناس من الحجازيين والآفاقيين وكنت قد بلوت أخبارهم ، واكتنهت معرفتهم وانكارهم، وأذكر ما لدي من الرأي في المسألة الحجازية وما يشترط في ذلك بقدر ما يسعه المقام، فلما فرغ من كان يتكلم قبل مجيئي استأذنت فأذن لي فقمت وقلت ما ملخصه كما نشر في جريدة القبلة

وكل ما يوضع فيها بين الاهلة هكذا ( ) فهو من قبل جريدة القبلة كما هو ظاهر الا الآيتين الكريمتين : في أولها فهما من أصل الخطبة

خطبتنا السياسية في منى

أيها المسلمون الكرام ، من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام ، انكم تعلمون أن الاسلام دين سيادة وسلطة ، وأن شريعته أنزلت ليقيم أحكامها أهله ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم) على التأويل المشهور للآية وتعلمون أن الله تعالى قد جعل هذا الدين عربيا اذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقد بين الله تعالى ذلك بقوله (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربيا، لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتابه المتعبد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومهبط وحيه ومشرق نوره، وكان أهلها هم السابقين الى تلقيه والاهتداء به، ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فسائر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا